سفينة الحيـــاة

بين اليأس والرجاء والحقيقة والخيال

بقلم عبد الستار سلام

المدرس بمدرسة الاميرة فوزية الثانوية للبنات

هذى الحيـــاة وأمرها عجب ... بحر خضم مائج صخب

يغشى السفين بنا العباب يخوض فى ... لجج تقاذفه فيضطرب

والريح تنشره فيتهب الخطى ... وإذا طوته يكاد ينقلب

والرعد يقصف والغيوم كثيفة ... والليل داج والردى شغب

ضل الطريق فلا نجاة لراكب ... أين النجاة؟ وكيف تطلب؟

ياصاحبىّ متى نحط رحالنا؟ ... أعيا الركاب السير والتعب

ومتى المقام؟ وقد مضت حقب ... وأتت علينـــا إثرها حقب

أين المنـــازل لا أبالكما ... أين الأحبّـــة أية ذهبوا؟

أكذا الحياة تمر فى سفر ... لايستقر لنا بها طنب؟

كل له أمل يؤمل نيـــله ... وطلابه لمنـــاله سبب

فيروح يلقى دلوه ورشاءه ... متفائلا ويظل يرتقب

يبـــدو له حينا فيبسم ثغره ... وإذا نأى ينتابه الغضب

ولكم يراه وقد تقلص ظله ... ثم استحال وكاد يحتجب

فيعود يدأب فى تطلبـــه ... لاينتهى لطلابه دأب

فإذا تيسر بعـــد مجهدة ... فوراءه من بعده عقب

هى شعبة الآمال أومض برقها ... وبريقها إن شمته كذب

نحيا بها ولو انها خـــدع ... وتهزنا ولو انها نصب

نمسى ونصبح وهى رائدنا ... ومسيرها ومسيرنا خبب

نبنى القصور على أشعتها فوق السماك تحفها الشهب
ونبيت نسبح فى مسابحها فى عالم حصباؤه ذهب
والماس يلمع فى جوانبه والدر حول رحابه نهب
وتجيئنا الأقدار خاضعة وتراع منا السمر والقضب
ياليت شعرى أين غايتها ؟ لا الشمس غايتها ولا السحب

قل للنؤوم لقد صحوت من الكرى والصحو جدٌ والكرى لعب
لاتجر فى إثر الخيال ولا ترم مالا يرام فدونه العطب
وزن الأمور بنور عقلك إنه يجلو الصواب فتنجلى الريب
واجنح إلى مايستطاع فإنه بالسعى يرجى ثم يكتسب
لاتدخر وسعاً لأمر ممكن مهما جهدت وشفّك النصب
إن الحياة جميعها تعب وبلاؤها فوق البلا صَبَب
حرب ضروس بين ساحتها يجلو الكفاح ويحمد العَلَبُ
والناس تشعل نارها وأوارها متهالكين وهم لها حطب
أغرتهم الأطماع فانطلقوا لها يتطاحنون وبينهم نَسَبُ
كل يحاول أن يكون له دون الرفاق الغنم والسَلَبُ

حب النفوس طبيعة لكنه مرض وفى جيشه لَجَب
يلد العداوة والتباغض والأسَى والشر ينشأ منه والوَصَب
لو أنصفوا رأوا الحياة حلوبة بالرفق تمرى ثم تحتلب
وتنعموا بثمارها وقطوفها وثمارها وقطوفها شعب
لكنها الأطماع تعبث بالنهى وثيابها طول المدى قشب

لو سيقت الدنيا العريضة لامرئ طلب المزيد فأمره عجب
أو أسعدته بشعبة من خيرها فالخير منقوص ومقتضب
يرجو الغنى ويقول دنياك الغنى فى ظله كم يعتلى الحَسَب
فإذا أفاد كنوزه وضروبه سرعان ما يتضاءل الأرَب

ويرى السعادة فى سواه من المنى ... وتشوقه الألقاب والرتب
والعلم يطلبه فإن هوناله ... وأصابه لاينتهى الطَلَب
فهناك جاه يرتجيه ولا يرى ... أن الحياة العلم والأدب
ويقول حسبى من حياتى صحتى ... إن السقيم حياته كرب
فإذا النضار يهزه ويروعه ... وإذا الحياة المال والنشب

عاش الأوائل قبلنا فى حيرة ... من أمرها وبغصة ذهبوا
بحثوا فهل أجدت بحوثهم وكم؟ ... من مبهمات حولها حجب
لم يهتك العلم الحجاب عن الردى ... ونفوسنا من هوله تجب
سر الردى فى صخرة ماانفجرت ... لو فجرت لا اصطكت الركب
والعمر نجهله ولا ندرى متى ... من نومه ليث الردى يثب
والطفل تنتاب السقام ضلوعه ... فى قسوة فيبيت ينتحب
لم يقترف جرما ولكن حكمة ... ضاقت بفك رموزها الكتب
ومنعم فى جهله بشقائه ... وأخو الحجا بنعيمه تَعِب
ومنافق مد اليسار جناحه ... بفنائه وضميره خرب
وفتى أريب يرتجى لِمُلِمَّة ... رث الثياب وخدُّه ترب
ومشمر عن ساعديه لقاعد ... يشقى الكرام وتسعد الخُشب

شذ القياس فلا قياس أما ترى ... شوكا ومنه يجتنى العنب
لاتعترض ليس اعتراضك مجديا ... جف اليراع . وكان مايجب
الله مولى العالمين هو الذى ... يهب النهى والحظ من يهب
قد قسم الأرزاق وفق مراده ... فالعتب نقص والرضا قرب
أينازع الخلاق أضغف خلقه ... غيض الحياء وقُوِّض الأدب
العبد عبد والمليك مالك ... عز الفرار وأعوز الهرب
لاتصغين إلى خطيب مارق ... بئس الخطيب وبئست الخطب
واقنع بتصريف القضاء تعش كما ... عاش الكرام ذوو النهى النجب

عبد الستار سلام